نبذة عن زكريا تامر

sotor.com/نبذة_عن_زكريا_تامر

جعفر الدّندل

زكريا تامر

هو أديب وصحفي سوري من حي البحصة الدمشقي، ولد عام 1931م وكانت نشأته طبيعية لولا اضطراره لترك المدرسة في سنّ متقدمة من حياته وهو في الثالثة عشرة من عمره عام 1944م وتنقّل بين عدّة أعمال أهمّها مهنة الحدادة التي زاولها منذ تركه للمدرسة، وإن تنقّل بين عدّة مهن ولكنّها تبقى مهنته التي وسِمَ بها، وقد بدأ الكتابة عام 1958م وكان وقتها ما يزال حدَّادا فكتب مجموعته القصصيّة الأولى "صهيل الجواد الأبيض"، وبعدها بعامين اضطُرَّ لترك العمل بسبب أزمة طالت البلاد كلّها أسفرت عن بطالة كبيرة، وقبل ذلك كان قد تعرّف على يوسف الخال، ومن هناك بدأ طريقه، وسيقف المقال فيما يأتي مع نبذات متفرقة عن زكريا تامر الأديب المعروف.[١]

حياة زكريا تامر

لقد بدأ زكريا تامر حياته كأي شخص آخر فذهب إلى المدرسة ولكنّه تركها في سن مبكرة ربّما لظروف المعيشة الصعبة آنذاك قبل استقلال سوريا بعامين عن الاحتلال الفرنسي، وبدأ حياته حدَّادا في معمل، ثمّ في جلسة مع يوسف الخال في بيروت لفت أنظار ذلك الشاعر الذي سبق له وقدّم محمد الماغوط للنّاس بنفس الطريقة، فأُعجِبَ به يوسف الخال وآمن به وبكلماته الجارحة التي تخرج من تحت سندان الحدّاد، وكانت تلك الكلمات هي ما كتبه في مجموعته القصصيّة الأولى "صهيل الجواد الأبيض"، ثمّ صار يكتب قصص الأطفال عام 1968م، وعمل في بلاده سوريا رئيسًا لتحرير مجلة الموقف الأدبي وأسامة والمعرفة، وعمل قبل ذلك في وزارتي الثقافة والإعلام في سوريا كذلك، وساهم في تأسيس اتّحاد الكتّاب العرب في سوريا في نهايات عام 1969م، وتبوّأ مناصب أدبيّة رفيعة في المجال الأدبي في أماكن كثيرة، وفي عام 1981م انتقل للعيش في بريطانيا وما يزال فيها حتّى هذا اليوم، ويكتب المقالات الأدبية والسياسية في معظم المجلّات والصحف العربيّة كمجلة الدستور الأسبوعيّة التي يعمل فيها، وبعض المجلات الأخرى كمجلة التضامن ومجلة الناقد اللندنيّة التي نشر من خلالها بعض الحكايات والأقاصيص في زاوية تحمل عنوان قال الملك لوزيره، ويمتلك زكريا تامر أسرة مكوّنة من زوجته وولدين.[١]

تجربة زكريا تامر الأدبية

منذ أن انطلق تامر إلى عالم الكتابة أوّل مرة من خلال "صهيل الجواد الأبيض" لم يتّبع النهج السائد على الساحة الأدبية، ولم يُساير الركب، ولم يقلّد أحدًا، بل سبح عكس التيّار تاركًا التقليديين وراء ظهره، وقد بلغ ذروة إبداعه الأدبي في مجموعته القصصيّة الأكبر "دمشق الحرائق"، وكانت قصصه الأولى تلتزم الصدق في التعبير والهموم، وهذا ما يمكن القول عنه إنّه جعل أسلوبه واحدًا مع التنوّع في الموضوعات؛ فتارةً يستلهم قصصه من التاريخ، وأخرى يأتي بها من الواقع، ومرة يكون سرياليًّا وأخرى يكون انطباعيًّا، ولكنّه -على الأكثر- كان تعبيريًّا، ومهما تنوّعت الموضوعات والأساليب فإنّ بصمة زكريا تامر تبقى واحدة ولا تتكرّر؛ إذ الاستفادة من أسلوبه والتّأثّر به هو ضربٌ من المستحيل لسبب بسيط وهو أنّ تامر نفسه لا يصلح أن يكون معلِّمًا لأحدٍ؛ فهو أكثر الذين حاربوا ظاهرة التبعيّة، ثُمّ إنّ إبداعه هو إبداع فطريّ مخزون في دمه منذ ولادته، لذلك فإنّ نقله إلى غيره هو أمر صعب، ومن يقرأ قصصه يلاحظ التشاؤم الكبير فيها، تلك التشاؤمية التي يراها بعض المشتغلين بالأدب والنقد قد رفعته إلى مرتبة العالميّة، وبالإضافة إلى ذلك يمكن القول إنّ زكريا تامر قد استفاد من التراث الشعبي للحكاية والأدب الغربي المعاصر في تقنيّات القصّ والسرد التي اتّبعها في كتاباه، ولكنّه بقي محافظًا على بصمته وروحه الدمشقيتين، والقارئ لقصصه يلاحظ البساطة في التعبير والإيجاز في الكلام، ولكنّ ذلك الإيجاز كان إيجازًا مكثّفًا وموحيًا، ويمكن القول ختامًا إنّ زكريا تامر قد وصل في القصة القصيرة إلى مكان جعلها عصيّة على التصنيف؛ إذ قد صهر في بوتقة قصصه القصّة الصرفة والخاطرة والحوار المسرحيّ ممّا جعله نسيجًا وحده في عالم الأدب.[٢]

مؤلفات زكريا تامر

بعد الحديث عن زكريا تامر وحياته وبعد الحديث عن شيء من تجربته الأدبيّة يمكن أخيرًا الوقوف مع النتاج الأدبي الذي كتب حروف كلماته زكريا تامر، هذا النتاج الذي بدأ عام 1958م وما يزال مفتوحًا إلى اليوم طالما أنّ حياته لم توصد أبوابها في وجهه بعد، تلك الأعمال التي وإن اختلف محلّ نشرها إلّا أنّها تضجّ بروح الأديب زكريا تامر، ومن أعماله:[٣]

- **صهيل الجواد الأبيض:** وهي المجموعة القصصيّة الأولى له، وتدور في إطار مأساوي ينبع من ذات الكاتب المثقلة بالحزن.
- **ربيع في الرماد:** وهي مجموعة قصصية تحكي خفايا عالم دمشق.
- **الرعد:** وهي مجموعة قصصية تحكي صراخ المظلومين الذي يغدو كرعد يزمجر ويضرب ويدوي في الآفاق.
- **دمشق الحرائق:** وهي أضخم مجموعاته القصصية التي يحكي فيها على لسان أبطال كُثُر واقع الإنسان الدمشقي وواقع دمشق والأحزان فيها وعن ماضيها وحاضرها.
- **هجاء القتيل لقاتله:** وهي مجموعة مقالات قصيرة.
- **النمور في اليوم العاشر:** مجموعة قصصية أقرب إلى أن تكون سياسية، تحكي هموم المواطنين في البلاد العربية ولا سيّما قصة النمور في اليوم العاشر.
- **نداء نوح:** مجموعة قصصية صدرت أول مرة عام 1994م.
- **سنضحك:** مجموعة قصصية صدرت عام 1998م.
- **أف:** مختارات قصصية.
- **الحصرم:** مجموعة قصصية تدور أحداثها في حي شعبي عربي لا على التعيين.
- **تكسير ركب:** مجموعة قصصية ساخرة لاذعة تتألف من 63 قصة.
- **القنفذ:** قصة أقرب ما تكون موجهة للأطفال من خلال الراوي الطفل البريء.
- **ندم الحصان:** مجموعة قصصية صادرة عام 2018م.
- **لماذا سكت النهر:** مجموعة قصصية للأطفال من 53 قصّة.
- **قالت الوردة للسنونو:** قصص للأطفال.
- **الجراد في المدينة:** أقصوصة للأطفال.
- بالإضافة لـ37 قصة مصوّرة للأطفال نُشرت في كتيّبات مصوّرة.

اقتباسات من كتب زكريا تامر

بعد الحديث عن زكريا تامر وحياته وكتبه ومؤلفاته فإنّ المقال ختامًا يقف مع بعض الاقتباسات من مؤلفات زكريا تامر الكثيرة، فلقد كتب زكريا تامر إلى هذا الحين كثيرًا من القصص التي وجهها للكبار والصغار، وممّا كتبه زكريا تامر ويستحق أن يكون اقتباسًا ما يأتي:[٤]

- "الموتى لا يقرؤون كتبًا، إنّما هم يعبُرُون العالم ليلًا، ويطرقون أبواب بيوتهم القديمة بقبضات ليس لها لحم، وينادون الأهل، ويناودن الأعداء دونما جواب"، دمشق الحرائق.
- "لكي يكون الإنسان سعيدًا يجب أن يكون له شيءٌ ما ملكه ويخصه وحده"، صهيل الجواد الأبيض.
- "قال بصوتٍ باردٍ قاسٍ: لماذا ولدتَ ما دمتَ بريئًا؟ جئتَ إلى هذا العالم كي تهلكَ وستهلكُ دونَ احتجاجٍ، أنتَ مجرمٌ وكُنّا نراقبك منذ أمدٍ طويلٍ؛ فالناس المشبوهون نعرفهم بسرعه ولا يستطيعون خداعنا"، ربيع في الرماد.
- "فتحوا باب الزنزانة ودلفوا إلى داخلها جرادا جائعًا، ولم يدهشوا عندما ألفَوا طارق بن زياد جثّة هامدة، إنّما سارعوا ينقلونه إلى ساحة المدينة، وهناك تلَوا الحكم بإعدامه شنقًا، ثمّ سألوه عن رغباته الأخيرة فلم يفُه بكلمة؛ فاعتبروا صمته دليلًا على عدم وجود ما يرغب فيه، وبعدئذٍ تدلّى مشنوقًا"، الرعد.
- "هكذا يا أيّها السادة هُزِمنا من دون ثأر، وجلَّلَنَا عارٌ لا يمحوه أيّ دم"، الرعد.

المراجع[+]